

تعدّد الأصوات وحواريه الفن الروائي:

فلاح نظريه الروايه عند ميخائيل باختين

د. ميلود شنوفي

جامعة البليدة 02 - الجزائر

ملخص:

ظلّ النثر الفني حتى نهاية ق19 موضوعا للتحليلات الإيديولوجية بطريقة مجردة، وكان هناك إهمال تام للمشكلات الملموسة لخطاب النثر الأدبي نتيجة اعتباره خطابا شعريا بالمعنى الضيق، فدرس أسلوبيا بالأدوات نفسها التي كان يدرس بها الشعر وبالم منظور نفسه. ومع بداية العشرية الثانية من ق20 تغير المنظور وتغيرت الأدوات الإجرائية المشخصة لقضايا النثر الروائي ومهاراته الفنية. هذا المقال يلقي ضوءا على أحد أهم النظريات المجاوزة للتصورات السابقة لمفهوم النثر الروائي، في صورة التصور الاجتماعي لمفهومي اللغة والابداع الكلامي الذي جاء به الناقد الروسي ميخائيل باختين. **الكلمات المفتاحية:** الرواية، التعدّد اللغوي، تعدّد الأصوات، ميخائيل باختين، الابداع الكلامي، اجتماعية اللغة، دوستوفسكي.

Abstract:

until the end of the 19th century, the artistic prose was still the subject of ideological analyses in an abstract manner and there was a total neglect of the concrete problems of literary prose discourse; as a result, it was regarded as poetic speech in its narrow sense. It was studied stylistically with the same tools that the poem was taught by and by the same perspective.

In the beginning of the second decade of the 20th century, this view was changed and the procedural tools used to analysed were also changed.

This article sheds light on the most important theories that exceed the old perceptions of the concept of prose, as seen by the the Russian critic Mikhail Bakhtine .

Key words: polyphony, dialogic narrative art, literary prose discourse, social perception, verbal creativity, Mikhail Bakhtine

1- مقدمة:

باتت نظرية الرواية محور اهتمام كثيرين من النقاد ومحلّي شعريّة الخطاب. ومع أنّ الرواية كجنس تعبيريّ معترف به ومتميّز تتحدّد تاريخيا بالقرن 17م، فإنّها رغم هذا العمر القصير، قد اكتسبت مكانة خاصة، ويرجع معظم النقاد والفلاسفة ذلك إلى توافق صعود الرواية مع ميلاد حركات وتحوّلات اجتماعية وفكرية وعلمية أصابت المجتمعات التي أنتجت الرواية، بالإضافة إلى انبعاث اهتمام الفلسفة بالأشكال الأدبية وعلم الجمال، ماجعلها مجالا للتفكير في كلّ ما يتعلّق بالإنسان من زاوية تغاير تحليل التاريخ العام... لذلك أعيد استكشاف "دانتي"، "سيرفانتيس" و"رابليه" عبر الكثير من الجهود الفلسفية والنقدية التي نظرت إلى تاريخ الرواية وغائيتها وعلاقتها ببقية الأجناس التعبيرية وطموحها إلى (الكلي والمطلق الأدبي) على ضوء التبدّلات الاجتماعية والتاريخية المتسارعة.

2- جذور النوع الصنف الروائي الخوارزمي:

ساعد كثيرا على نمو التفكير النظري في الرواية، وتطوره، كونها جنسا تعبيريا (هجينا) في شكله، غير منته في بحثه عن شكله النهائي، وهذا ما جعلها خطابا متّصلا في بحثه عن شكله، بسيرورات تعدّد اللّغات والأصوات وتفاعل الكلام والخطابات والنصوص الأدبية وغير الأدبية، وكلّ ذلك لا يخرج عن جوهر المجتمعات الحديثة التي قامت على مقاطعة نظم العيش وطرق التفكير في مجتمعات القرون الوسطى ومناهضتها.

لم يكن ما شدّد النقاد إلى كتاب (قضايا شعرية دوستوفسكي)⁽¹⁾ اتّخاذه مظاهر إبداع مؤلف (الإخوة كرامازوف) وتفسيرها موضوعا له، فقد كان يمكن أن يحدث ذلك مع أي ناقد، بل إنّ ما أوصل الكتاب ومؤلفه إلى ما وصلا إليه من سعة الانتشار وشدّة التأثير هو بالأساس المنهج الجديد الذي قامت عليه الدراسة، فالرجل يحلّل الخصائص الصنفية والتكوينية المحورية لأعمال دوستوفسكي في قيامها على طرح جديد لم يوجد في عصره أكثر جلاء عند غيره، وهو الأصوات المتعدّدة، ولكي يحدّد قيمة ما وصل إليه دوستوفسكي في هذا المجال، يعرّج على معظم المسائل النظرية المتعلّقة بالجنس الأدبي عموما وبالجنس الروائي الذي أبدع فيه دوستوفسكي وهو الرواية المتعدّدة الأصوات، وباختين لا يرى في الرواية إلّا أنها ذات أصوات متعدّدة، بل إنه جعل تعدّد الأصوات شرطا من شروط الرواية.

والحقيقة أنّ لهذه المقولة-الشرط « صلة ببعض الأجناس الأدبية في التراث الثقافي الأوروبي التي خضعت بحكم التطوّر الزمني إلى متغيرات نوعية أدت إلى ظهور صنف الرواية.»⁽²⁾ وباختين لا ينكر هذا، فهو يقول: « في الصنف الأدبي تجري دائما المحافظة على العناصر غير القابلة للفناء في الكلمات والمصطلحات القديمة الحقيقية (ولكنه) تتمّ المحافظة عليها في هذا الصنف، وذلك بفضل تجدّدها المستمر ومجاراتها لروح العصر، ذلك أن الصنف الأدبي يبدو دائما متشابها

⁽¹⁾ الطبعات الجديدة للكتاب بعنوان: شعرية دوستوفسكي.

⁽²⁾ محمد الباردي، في نظرية الرواية، سراس للنشر، تونس 1996، ص 53.

ومختلفا كما يبدو دائما قديما وجديدا في الوقت نفسه...»⁽¹⁾ لكنّه يصرّ على أن تعدّد الأصوات ميزة في روايات دوستوفسكي لم تتوقّر عليها الرواية الأوربية قبله. إنّ دراسة أصل الرواية المتعدّدة الأصوات تبين صلتها الوثيقة بأجناس الأدب الهزلي، بل إنّ أحد جذورها الأساسية الثلاثة قائم على الضحك، ذلك أنّنا إذا سلّمنا بتصنيف باختين لم تخرج الرواية الأوربية عن كونها: ملحمة، بيانية متكلفة خطابية، وكرنفالية⁽²⁾.

ركّز باختين على الأصل الثالث الذي اتصلت به روايات دوستوفسكي» وهو يرجع الصنف الحوارى الذي في إطاره تدرج روايات دوستوفسكي إلى صنفين اثنين في قطاع الأدب الضاحك بجد وهما الحوار السقراطي والهجائية المينيبيية.⁽³⁾ وهو يرى أنّ لهما «أهمية حاسمة في صياغة هذا الصنف الخاص بتطور الرواية والنثر الفنى الحوارى.»⁽⁴⁾ ويرى أنّ الحوار السقراطي نفسه قد ارتكز في حركة تطوّره على أساس كرنفالى وسمه بحرية إبداعية خلّصته من القيد التاريخى الذى كان يشدّه إلى الذكريات المتّصلة بالمناقشات التى أجراها سقراط والمتّقلة بالسرد، لكنّه فقد صلته «بالموقف الكرنفالى من العالم واستحال إلى شكل بسيط لعرض

⁽¹⁾ ميخائيل باختين، شعريّة دوستوفسكى، ترجمة جميل نصيف التكريتي، دارتوبقال، المغرب 1986، ص154.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص158.

⁽³⁾ محمد الباردي، في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص54.

⁽⁴⁾ ميخائيل باختين، شعريّة دوستوفسكى، مرجع سابق، ص159.

الحقيقة المكتشفة والجاهزة»⁽¹⁾ حدث ذلك لما تحوّل إلى خدمة العقائد والفلسفات والتعاليم الدينية بفعل خرق الاتجاه المضموني للحوار شكل الحوار السقراطي الذي ظلّ لمُدّة محافظاً على طبيعته الحوارية الحقيقية التي تتعارض مع الحوار الرسمي الذي يصرّ على امتلاك الحقيقة الجاهزة⁽²⁾.

أمّا الهجائية المينيبية، وهي الصنف الثاني من ركائز الرواية المتعدّدة الأصوات فإنّ جذورها عميقة في الأدب الإغريقي، قد عرفتها أشكال أدبية على غرار الرواية الإغريقية والرواية الطوباوية والرومانية، وهي كذلك على اتصال بالحوار السقراطي، إذ في مدارها تطوّر عدد من الأصناف الأدبية التي اتصلت نشأتها بالحوار السقراطي كالخطبة اللاذعة ومناجاة النفس، والأصناف الأدبية التي تعتمد التفلسف الهازل، وهي تتميز نوعياً بطغيان عنصر الإضحاك وتحرّرها من القيود التاريخية المتعلّقة بالذكريات التي قام عليها الحوار السقراطي⁽³⁾.

الهجائية المينيبية جنس متعدّد الأصناف يقوم على توظيف الأقاصيص والرسائل والأقوال الخطابية المتكلفة، وندوات المناقشة، وتجمع بين الشعر والنظم إضافة إلى اهتمامها بالتعبير عن مظاهر الحياة اليومية، يشبّها باختين بصنف أدبي صحافي في العصور القديمة، تردّ بحدّة على مواضيع الساعة الإيديولوجية، إذ تردّ مفعمة بالجدل الظاهر والمخفي مع مختلف المدارس الفلسفية والدينية والإيديولوجية

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص 160.

⁽²⁾ للاستزادة ينظر: محمد الباردي، في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص 54.

⁽³⁾ ميخائيل باختين، شعرية دوستوفسكي، مرجع سابق، ص 165.

والعلمية، ومع اتجاهات وتيارات العصر، وما يجمع بين الصنفين هو بعدهما الكرنفالي، فالكرنفال شكل تمثيلي توفيقى ذو طبيعة شعائرية، فيه يقيم الناس فيما بينهم صلات حرّة وبعيدة عن الكلفة تعمّ كل القيم والأفكار والظواهر والأشياء⁽¹⁾.

يجلي باختين أثر الحوار السقراطي والهجائية المينيبيية على الأصناف الأدبية عبر العصور، وهو يرى أنّ الأدب الحديث قد استوعب خصائصهما النوعية بأشكال متعدّدة ففولتير كتب القصة الفلسفية، وهوفمان كتب الحكاية الفلسفية الرومنتيكية وهما برأي باختين تتصفان بالملاح العامة للمينيبيية، التي تجسدت بصفة أجلى وأثرى في أعمال دوستوفسكي السردية⁽²⁾ لذلك فهو يؤكّد كثيرا في (شعرية دوستوفسكي) أنّ المينيبيية « تتغلغل في جميع الأعمال الأدبية الكثيرة لدوستوفسكي، خاصة في رواياته الناضجة الخمس، فضلا عن أنّها تتغلغل في أكثر لحظات هذه الروايات أهمية... فهي التي تحدّد نغمة كلّ إبداع دوستوفسكي. »⁽³⁾

كلّ هذا ليس إلّا مقدّمات لنقض رأي شائع يلحّ على انحدار الرواية من جنس نقى واحد هو الملحمة، والرجل إذ ركّز على بعض الأجناس الهامشية وبيّن أهميّتها، إنّما ليؤكد على أهميّة الأدب الشعبي الكرنفالي في تأصيل الرواية الأوروبية، ما سمح له بفهم الرواية بوصفها جنسا هجينا، وليس جنسا نقيا « لأنّ

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص 172-174.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 201.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 202.

قوامه التنوع والتعدّد في أسلوبه وتصوّره للعالم الذي يبنيه، فقد أخذ من أشكال أدبية عديدة مختلفة ومتنوعة، أساليبه الفنيّة، لذلك فهو لا يحقّق ذاته بذاته، بل بالأجناس الأدبية الأخرى التي يحتويها ويستوعبها.⁽¹⁾

وهكذا لم يعد جائزا النظر إلى الرواية على أنّها نبتة برجوازية، بسبب أنّنا صرنا نعلم مع باختين أنّ جذورها تمتدّ إلى عمق الثقافة الشعبية، ومكوّناتها النصية موجودة في بعض النصوص النثرية الإغريقية والرومانية القديمة وبعض روايات العصور الوسطى، أمّا البرجوازية التي قامت على إبراز الفردية وتحقيق قيمتها، شأن الرواية، فليست على ما يبدو أصلا للرواية التي نشأت حسب باختين خارج الشروط المجتمعيّة والتاريخيّة التي تتحدّث عنها الرواية.

3- التعدّد اللغوي:

بنى باختين نظريته في الرواية على أساس لغوي، لكن اللّغة عنده ليست نسقا جامدا، أو بنية ثابتة، وليست مجردة، هي الملفوظات البعيدة عن الدلالات المحنّطة في المعاجم، هي ما يقوله المتكلّمون داخل الرواية، فيكشف طبيعة العلاقات القائمة بينهم، والقصد الذي يحيل إليه كلامهم وسلوكهم، لذلك فالرواية عنده «هي التنوع الاجتماعي للّغات وأحيانا للّغات والأصوات الفردية تنوّعا منظما أدبيا». ⁽²⁾

⁽¹⁾ محمد الباردي، في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص 57.

⁽²⁾ ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة 1987، ص 39.

يتغلغل التعدّد في الرواية عبر وحداتها التأليفية الأساسية بدرجات مختلفة، هذا التعدّد هو الذي يمنح الرواية تفرداً أسلوبياً، إنّ «خطاب الكاتب وسارديه والأجناس التعبيرية المتخلّلة وأقوال الشخص، ماهي إلا الوحدات التأليفية الأساسية التي تتيح للتعدّد اللّساني الدخول إلى الرواية، وكلّ واحدة من تلك الوحدات تقبل الأصداء المتعدّدة للأصوات الاجتماعية وتقبل اتصالاتها وترابطاتها المختلفة التي تكون دائماً في شكل حوارٍ قلّ أو كثر، تلك الاتصالات والترابطات الخاصة بين الملفوظات واللّغات وتلك الحركة التيمية التي تمرّ عبرها اللّغات والخطابات وتشدّرها إلى تيارات وقطرات، وصيغتها الحوارية آخر الأمر هو المظهر الذي يتّخذ التفرّد الأولي لأسلوبية الرواية.»⁽¹⁾

تقوم الرواية أسلوبياً على وحدات غير متجانسة تجعل منها خطاباً أدبياً متميّزاً هي حسب باختين:

- 1- السرد المباشر الأدبي في مغايراته المتعدّدة الأشكال.
- 2- أسلوبية مختلف أشكال السرد الشفوي التقليدي أو المحكي المباشر.
- 3- أسلوبية أشكال السرد المكتوبة نصف الأدبية والمتداولة كالرسائل والمذكرات الخاصة.

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص 39.

- 4- أشكال أدبية متنوعة في خطاب الكاتب، إلّا أنها لا تدخل في إطار الجنس الأدبي مثل الكتابات الأخلاقية والفلسفية والاستطرادات العالمية والخطب البلاغية والأوصاف الاثنوغرافية والعروض المختصرة وغيرها.
- 5- خطابات الشخص الروائيين المتفرّدة أسلوبيا⁽¹⁾.

لا نعثر على هذه الوحدات في النص الروائي منعزلة، متقابلة أو متجاوزة، بل إنّنا لا نعثر عليها منفصلة عن بعضها بما يسمح برصدها على مستوى بنائي معيّن، إنّها لا توجد في الرواية إلّا متداخلة بالشكل الذي يسمح بالحديث عن نسق أدبي منسجم، وفي الصورة التي تجعلها خاضعة لوحدة أسلوبية عليا تتحكّم في الكلّ ولا نستطيع أن نطابق بينها وبين أية وحدة من الوحدات التابعة لها⁽²⁾.

ولأنّ الرواية هي كلّ هذه الوحدات في تآلفها وانسجامها، وبما أنّها وحدات غير متجانسة، انصبّ حديث باختين عن التعدّد بوصفه أوّل ما يظهر من هذا اللاتجانس الذي يمنح الرواية هذا التميّز الأسلوبي الناتج عن التعدّد في الأصوات وفي اللّغات، وهذا هو ما يميّز مسار البحث الأسلوبي عند باختين. إنّ أسلوبيته هي « أسلوبية اجتماعية تصنّف اللّغة وفق تنوّع الأجناس التعبيرية: الخطابية الصحفية، الأدبية -الدنيا- والأجناس المتنوعة للأدب الكبير، ووفق المهن: لغة

¹⁾ Mitkhail Bakhtine, Esthetique et Theorie du roman ,Ed. Gallimard, Tel, Paris 1978, P88.

²⁾ Ibid. P88.

المحمامي الطبيب، التاجر والسياسي.»⁽¹⁾ وكلّ هذه الطبقات، وبالتالي اللّغات تتميز « باختلاف اجتماعي، بتتضيد اجتماعي، يمكنه من أن يصبح في بعض الفترات اختلافا ملحوظا.»⁽²⁾ كما أنّ « الحوار الداخلي، الاجتماعي للخطاب الروائي يستدعي الكشف عن سياقه الاجتماعي الملموس الذي يعدّل مجموع بنيته الأسلوبية وشكله ومحتواه، فضلا على أنّه لا يعدّله من الخارج وإنما من الداخل، ذلك الحوار الاجتماعي يرنّ داخل الخطاب نفسه وداخل كلّ عناصره، سواء تلك التي تخصّ المحتوى أو الشكل.»⁽³⁾

الحديث عن التعدّد الاجتماعي للأصوات واللّغات، حديث عن مكونات هذه الأصوات واللّغات، عن الملفوظ، الكلمة التي تجسّد هذا التنوّع والتعدّد، لأنّها تولد ضمن ظروف العلاقات الحوارية، أي في ظروف الحياة الحقيقية للكلمة، لذلك فهي المادة الرئيسية للدراسة⁽⁴⁾.

رفض باختين الرؤية التقليدية التي تجعل من الكلمة هيكلا بلا روح، أو فردا يحيا خارج إطار الجماعة، وهو يوجّه الجهد والنظر إلى (الكلمة المشخّصة) التي تحيا في إطار الجماعة وتوجد بفضل وجود كلمات الآخرين فيها بقبولها أو رفضها أو التقاطع معها، ذلك أنّ الكلمات لا يمكن أن توجد منعزلة أو منطوية على

⁽¹⁾ محمد الباردي، في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص 60.

⁽²⁾ Mikhail Bakhtine, Esthetique et et Theorie du roman, Op.Cit, P 111.

⁽³⁾ Ibid. P120.

⁽⁴⁾ ينظر: ميخائيل باختين: شعرية دوستوفسكي، مرجع سابق، ص 270.

ذاتها وعلى دلالتها، إنّما حياتها مشروطة بصراعها مع كلمات الآخرين وتأثرها بها وتقاطعها مع كلمات لاحقة، وهذا ما يجعلها حية بفضل ما تقدّمه وما تحصل عليه من دلالات بفضل علاقات التأثير والتأثر، فإذا بحياة الكلمة مجموعة ما يمرّ عليها وما تقيمه من العلاقات الاجتماعية.

يقول في (الماركسية وفلسفة اللغة): «تتكشّف كلّ كلمة، كما نعلم، حلبة مصغّرة، تتقاطع فيها وتتصارع لهجات اجتماعية ذات توجّه متناقض، تستبين الكلمة في فم الفرد، نتاجا للتفاعل الحيّ للقوى الاجتماعية.»⁽¹⁾

ويقول في (الكلمة في الرواية): «إنّ الكلمة تعيش خارج ذاتها، في توجّوها الحيّ إلى الموضوع، فإذا غفلنا عن هذا التوجّه حتى النهاية لن يبقى بين أيدينا إلّا جثة الكلمة عارية لا نستطيع أن نعرف منها شيئاً لا عن وضع الكلمة الاجتماعي ولا عن مصير حياتها، إنّ دراسة الكلمة في ذاتها مع إغفال توجّوها خارج ذاتها عبث كعبث دراسة المعاناة النفسية خارج الواقع الفعلي المتوجهة إليه هذه المعاناة والمحكومة به.»⁽²⁾ لا حياة إذن للكلمة في ذاتها، في وجودها المعجمي، مصيرها في الحياة مرتبط بتوجهها إلى الآخرين، بما تقيمه معهم من تعارف وحوار وصراع، وهي إذ تؤمّن ذلك للآخرين ولنفسها، تنقل تصوّره ورؤيتهم للعالم، كما تنقل تصوّره وتفكيرهم في الكلمة التي يتوجهون بها إلى هذا العالم. تتجلّى الكلمة

¹⁾ M.Bakhtine, le Marxisme et la Philosophie du langage , Ed. de Minit, Paris 1977, P39.

²⁾ ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق/سوريا 1988، ص11.

حاملاً إيديولوجياً، ويجب أن تدرس باعتبارها كذلك لذلك فهي عنده « الظاهرة الأيديولوجية بامتياز». ⁽¹⁾

لا تحليل الكلمة بهذا المعنى على القاموس، بل على التاريخ الذي اكتسبت عبره دلالتها، وعلى المجتمع الذي أخذت فيه هذه الدلالة، عبر تحولاتها المتراكمة، مما يشير عبرها إلى مجموع التحولات المختلفة التي عرفها هذا المجتمع عبر مراحل تاريخه التي هي مراحل تحول دلالات هذه الكلمة. لاجود لكلمة مجردة من بعدها الاجتماعي الأيديولوجي، لا توجد كلمة مكثفة بذاتها دلالياً بحكم خضوعها دائماً للاستعمال اليومي المثقل بالتوجه الأيديولوجي، وإذا أردنا مجازة باختين في هذا فإن حياة الكلمة تتحقق بفضل ارتباطها بأيديولوجيا الجماعة التي تقولها أو تستعملها، لذلك تفقد الكلمة دلالاتها بمجرد عزلها أو تجريدها من بعدها الأيديولوجي، وتتحول إلى إشارة حرة مجردة تعني أشياء كثيرة ولكنها لا تعني شيئاً محدداً « بعد أن كانت إشارة لغوية، أي أنه يكتفي بالكلمة في ذاتها ويعرض عن المتحدثين بها كما لو كان بإمكان اللغة أن توجد بمعزل عن المتحدثين بها». ⁽²⁾

الحديث عن البعدين التاريخي والاجتماعي للكلمة، تخصيص لجزء يبدو مغلقاً بكل خصوصيات الكلّ، ذلك أنّ الكلمة أو صورة الكلمة « ليست إلا صورة اللغة، تتقاسمان التغير والتبدل والوجود الحي المتعدد الدلالات، فمثلاً أن الكلمة

¹⁾ M.Bakhtine, le Marxisme et la Philosophie du langage, Op.Cit, P 31.

²⁾ فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، بيروت 1999، ص67.

توجد على ألسنة الناطقين بها قبل أن ترقد شاحبة في القاموس، فإنّ اللّغة تحضر مع الأفراد المتحاورين بلغة حيّة موحّدة، أو تحضر في وظيفتها الاجتماعية المسكونة بالتنوع والاختلاف كأن وجود اللّغة، ككيان حي هو ممارستها لا أكثر.⁽¹⁾ وال حال هذه، فإنّ حياة اللّغة، شأنها شأن حياة الكلمة، مرتبطة باستعمالها الكلامي المحمل بالإيديولوجيا، واستمرارها غير مكفول بنسقتها المجرد المثالي كما كان يقول دوسوسير لأنّ اللّغة « تعيش وتتطور تاريخيا داخل التواصل الكلامي المشخص لا في النسق اللّغوي المجرد لأشكال اللّغة، ولا في النفسية الفردية للمتكلمين.⁽²⁾، لذلك يبدو مرفوضا بسبب مجانيته بحث « مبدأ التمييز الكيفي بين مضمون داخلي وتعبير خارجي، ذلك أن العلاقتين، أي النشاط العقلي والتعبير اللفظي يتكوّنان من مادة واحدة، مع ذلك فإنّ تجانس العلاقتين ماديا لا يساوي بينهما تماما، بسبب أولوية الممارسة على الوجود، أو أولوية التبادل الكلامي على المخزون اللّغوي.⁽³⁾»

إنّ وجود اللّغة واستمرار حياتها مرهون باستمرار جريانها على ألسنة الناطقين بها، وإذا كانت الكلمة لا تحيا إلا بما تقيمه من علاقات مع من توجّه إليه فإنّ اللّغة لا تحدّد، وبالتالي لا توجد إلّا في الأشكال الاجتماعية المتبادلة فيها، فهي مثير اجتماعي للتواصل: لا يتكلم الإنسان إلّا من خلال كلام آخر، والآخر

⁽¹⁾ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁽²⁾ M.Bakhtine, Le Marxisme et La Philosophie du Langage, Op.Cit, P38.

⁽³⁾ فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، مرجع سابق، ص 67.

لا يرسل الكلام إلا بسبب كلام وقع عليه. تأخذ اللغة في حقل التبادل الكلامي الملازم لها، شكل سيرورة مفتوحة قوامها التنوع الكلامي الصادر عن بشر أحياء، لهم شروطهم الاجتماعية المشخصة المختلفة⁽¹⁾.

لا تتوقف اللغة عند حدود معينة، كما أنها لم تبدأ من نقطة محدّدة، إنها مثل الكلام خاضعة لمقومات الإبداع الإنساني عموماً، المتميّز بالحرية والتنوع والتفاعل « إن سيرورة الكلام، بمعناها الواسع كسيرورة نشاط لغوي على المستويين الداخلي والخارجي، هي سيرورة مستمرة، لا بداية لها ولا نهاية.»⁽²⁾

لا تحيا اللغة في القواميس، ولا يحيا الفكر بوجوده في الأذهان، يتجلى الفكر بواسطة اللغة، أي بواسطة التعبير المشخص للوجود الحي للغة، ويتنوع التعبير بتعدد الناطقين تتعدّد أشكال ممارسة اللغة، وهذا مسار مدى ارتقائها. إن مبدأ التنوع الكلامي الذي لا يملّ باختين من ترديده، ذو دلالة اجتماعية ومعرفية، ذلك أنّه يفصح عن درجة الرقي الاجتماعي بفضل ما يفرزه من تعدّد على صعيد ممارسة اللغة حيث يظهر كلام الحرفيين وأصحاب المهن المختلفة والطبقات الاجتماعية وكلام البدو والحضر، ومن يمزجون بينهما، وعلى المستوى المعرفي يتجلى كلام أصحاب المعارف المتميزة: كلام الأطباء ورجال القانون، وكلام الرسامين وأهل الفن وعلماء الفيزياء والرياضيات والفلك، وهذا ما يفتح آفاقاً جديدة

⁽¹⁾ ينظر: المرجع نفسه، ص 68.

⁽²⁾ M. Bakhtine, Le Marxisme et La Philosophie du Langage, Op.Cit, P 123

أمام اللّغة ذلك أن هذا التنوع الكلامي لا يقول بوجوده بعيدا عن اللّغة التي أعربت عن إمكانات تحققه بفضل إمكاناتها في التوسّع والتطوّر والشمول قبل أن يظهر هذا التعدد بشكل مادي منجز، لذلك فهذا التنوع الكلامي « تحقيق لذاتية اللّغة الطليقة وإشارة إلى وعي اجتماعي يخبر عن تطوره في ارتقائه الكلامي على اعتبار أنّ التنوع ارتقاء وأنّ الأحادية فقر وتخلّف. »⁽¹⁾

نقل باختين أدواته وأفكاره من نظريته في الكلمة وفي اللّغة الحوارية إلى نظرية الرواية، فظهرت له الرواية في صميمها صورة عن اللّغة، وبما أن اللّغة عنده حوار لا ينقطع أوعلى الأقل صورة لحوار لا ينقطع، فإنّ ما تفعله الرواية، هو تجسيد هذا الحوار، فالمبدأ الحواري هو ركيزة الرواية وأساسها: « إنّ تطوّر الرواية يقوم على تعميق الحوارية وتوسيعها وإحكامها، وبذلك يتقلّص عدد العناصر المحايدة الصلبة التي لا تدرج في الحوار، فيتغلغل الحوار بالتالي إلى أعماق الجزئيات وأخيرا إلى أعماق الذرّات في الرواية. »⁽²⁾

يحيل هذا الكلام على مكّونات العمل الروائي ومستويات بنائه، وكيف أنّ المبدأ الحواري، يقوم في كلّ هذه المستويات، بل هو متغلغل حتّى في فكر مؤلّف الرواية « الذي يلتمس العون من الشخصيات التي خلقها. »⁽³⁾

⁽¹⁾ فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، مرجع سابق، ص 68.

⁽²⁾ ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، مرجع سابق، ص 61.

⁽³⁾ فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، مرجع سابق، ص 71.

الرواية بهذا المعنى حوار تنشأ فيه العلاقات المختلفة بين المتحاورين، ما يجمع بين هذه العلاقات هو الشك باليقين، بل رفضه، ورفض ما يوحي به، لذلك فهي (الرواية) حسب ما يذهب إليه باختين كلام إنسان أو كلام إنسان عن إنسان لا يسأل عن اليقين، ولا يودّ التعرّف عليه بحكم ارتباطه باللاهوت، لذلك يقول في (وظائف النصاب والمهرج والغبي في الرواية): «النصاب والمهرج والغبي ينشئون حول أنفسهم عوالم صغيرة خاصة... ويتّصفون بميزة خاصة وحقّ خاص، وهوان يكونوا غرباء في هذا العالم، لا يتضامنون مع أي من الأوضاع الحياتية القائمة في هذا العالم، ولا يناسبهم أي منها، فهم لا يرون باطن كلّ وضع وكذبه... المهم بالنسبة إلينا هو تلك الوظائف الخاصة التي تؤديها هذه الشخصيات في الأدب بعد القرون الوسطى، والتي تؤثر تأثيراً جوهرياً في تطور الرواية الأوروبية.»⁽¹⁾

يؤسّس هذا الكلام لرؤية جديدة، لإنسان جديد، يحيا بين ظهرانينا نعرفه ونتعامل معه، فصفته أنّه موجود وحاضر، كما هو، لا تغلفه الهالة الأسطورية، ولا تسكنه قداسة الماضي ولا تملأ لسانه لغة الآلهة، يوضّح باختين بالقول: «إذا كانت فكرة اللّغة الشعرية الخالصة، المسحوبة من التداول اليومي الحياتي، الواقعة خارج التاريخ، فكرة لغة الآلهة، قد ولدت على أرضية الشّعْر بوصفها فلسفة طوباوية لأجناسه، فإنّ فكرة وجود اللّغات وجوداً حياً ومشخصاً من الناحية

¹⁾ Mikhail Bakhtine, Esthetique et et Theorie du roman, Op.Cit,P305.

التاريخية ألصق بالنثر وقريبة منه.⁽¹⁾ لغة النثر إذن بشرية، الرواية تستخدم هذه اللغة البعيدة عن لغة عالم الآلهة، ميزة اللغة البشرية التنوع المتكافئ الذي يحفل بالمهزج والغبي والنصّاب على مافي ذلك من تناقض بنفس الدرجة، فهؤلاء بشر، لغتهم بشرية، وأكثر من ذلك هي لغة النثر الفني، لغة الرواية التي تمتلئ بعوالم هؤلاء» إنّ موضوع الجنس الروائي الأساسي (المميّز) الذي يخلق أصالة هذا الجنس الأسلوبية، هو الإنسان المتكلّم وكلمته.⁽²⁾ ولما كانت الكلمة وسيطا ناقلا لإيديولوجيا المتكلّم، وأداة الفعل الروائي الذي يكشف هذه الإيديولوجيا، صار بديهيا أن يكون (المتكلّم) هو المرجع المميّز لأصالة أسلوب الرواية، لذلك فالبحت في أسلوبها وطريقة بنائها، بحث فيما يقول المتكلّم في وسطه الاجتماعي، وبحث فيما يعتنق من فكر وفيما يتّخذه من مواقف إزاء الآخرين، بهذا المعنى لاتقوم الرواية بدون شخصية إنسانية تجسّد التناقض القائم في الحياة، لذلك فهي تصوّر القويّ والضعيف، النبيل والتّافه، الثريّ والفقير، وهي في كلّ ذلك تصوّر إنسانا: يمتلك حقّ الكلام، وله طريقته فيه، بحيث يعرف به ويضع بينه وبين غيره مسافة ما، تحدّد لها درجة اختلاف الإيديولوجيتين، ما يسمح في النهاية بإقامة حوار، هذه المسافة هي «شرط حوار الشخصيات الروائية إذ لا حوار بين شخصيات متطابقة.»⁽³⁾ وهذا الكلام على قدر من الصحة، غير أنه يحلّ قضية بإثارة أخرى،

¹⁾ Ibid. P151.

⁽²⁾ ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، مرجع سابق، ص21.

⁽³⁾ فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، مرجع سابق، ص71.

ذلك أنّه إذا لم يكن ممكناً قيام حوار بين شخصيات متطابقة، فهل يقوم حوار بين شخصيات يفصل بينها بون إيديولوجي شاسع؟ إنّ الأمر يبدو ساعتها شبيه بحديث بين شخصيات من كواكب مختلفة لا يتوقّف على عنصر مشترك واحد، لذلك فالمسألة متعلّقة حسب ما يذهب إليه أحد الباحثين بإمكانية « تقليص المسافة هو شرط الحوار الأساسي، إذ لا حوار مع من سكنه اليقين، وبسبب ذلك، تتحاور الشخصيات الروائية فيعطي كلّ منها للآخر ما ليس عنده، ويأخذ منه ما هو بحاجة إليه، وذلك في سيرورة مفتوحة قوامها التوازي والتقاطع.»⁽¹⁾

4- تعدّد أشكال الواقع:

لا يتوقّف تأثير الشخصية الروائية على محاورها أو محاورها في النص الروائي، بل إنّهُ يمتد كنوع من التأثير على خالقها نفسه وتوجيهه، ذلك أنّه مثلاً ومثّل غيرها من شخصياته، كائن إنساني يرفض اليقين والمطلق، لذلك فهي تعود وتحاوره بعد خلقها، بهدف خلق خطاب عناصره متعددة هي بالإجمال: الروائي والراوي والشخصيات، لكنّه خطاب موحّد « في الواقع ليس الأبطال الأساسيون عند دوستويفسكي وحتى في تصوّر الفنان ذاته، مواضيع خطابات المؤلف فقط بل إنّهم ذوات خطابهم الخاص بهم والدال بشكل مباشر... إنّ وعي البطل مصاغ كوعي آخر غريب، لكن مع ذلك ليس مشيئاً، ولا مغلقاً على ذاته، ولا يصبح

⁽¹⁾ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

بالتالي، مجرّد موضوع لوعي آخر، بهذا المعنى فإنّ صورة البطل عند ديستوفسكي ليست صورة البطل المتموضعة في الروايات التقليدية.⁽¹⁾

تتمتّع الشخصية الروائية بوجود ذاتي خاص، عالم خاص بها. هذا العالم الخاص بالشخصية ومن يحيطون بها، الواقع في حيز لغوي تتفاعل كلماته لتحقيق حوار الجماعة، هو مصدر كلمات الرواية لكن حسب إيديولوجيا الروائي، وهذا ما يخلق حوار الشخصيات الروائية مع بعضها وحوارها مع الروائي، وهوماصرنا نسمّيه منذ أن قالت به جوليا كريستيفا: التناص⁽²⁾.

إنّ ما يميّز الرواية المتعدّدة الأصوات هو غياب الوعي السردى الموحد الذي يمكن أن يشمل وعي كلّ شخصيات الرواية، ذلك أنّ الموقف الجديد للكاتب إزاء الشخصية في الرواية المتعدّدة الأصوات يكمن في الموقف الحوارى الذي يحترم بصرامة، والذي يؤكّد استقلالية الشخصية وحريتها الداخلية فليست الشخصية عند الكاتب (هو) ولا (أنا) إنّما هي (أنت) تام أي (أنا) آخر غريب عنه ولكنّه عدل له⁽³⁾.

¹⁾ M. Bakhtine, la Poétique de Dostoevski, Ed. du Seuil, Points, Paris 1998, P 35.

²⁾ Julia kristeva, Recherches pour une Sémantique, Ed. du Seuil, Paris 1967, P149.

³⁾ Voir: M. Bakhtine, La Poétique de Dostoevski, Op. Cit, P40.

الحديث عن الشخصية حديث عن الرؤية التي يبدوان معناها الصحيح عند **باختين** موجود في صنف (الرؤية مع) وأنه يجب أن نجد منها عددا كبيرا في عمل واحد، لأنّ الرواية بذلك فقط يمكن أن تصبح حوارا. واضح أننا إزاء جمالية شديدة التميز، شرط قيامها الأساسي « أن ما تنهى عنه أولا وقبل كلّ شيء هولاتكافو صوتين: صوت الذات المتلفظة (السارد) وصوت ذات الملفوظ (الشخصية) فإذا أراد الصوت الأول أن يسمع فإن عليه أن يتنكر ويلبس قناع الصوت الثاني.»⁽¹⁾ وعلى هذا النحو تكون للشخصية الروائية قوانينها، ولعل أكثرها صرامة أن للروائي أن يكون شاهدا عليها أو شريكا لها، ولكنّه لا يكون الاثنين معا أبدا، إذ ليس بوسع المرء أن يكون في الآن الواحد ذاتا وآخر. إنّ صوتي شخصيتين ينتج عنهما تعدّد الأصوات، ولكنّه يجب الاعتقاد بأن صوت الشخصية وصوت سارد لا يريد أن يخفي صفته ذاتا وحيدة للتلفظ لا ينتج عنهما إلّا التناثر⁽²⁾.

5- خاتمة ونتائج:

يمكن القول إنّ **باختين** قد بنى نظريته في الحوارية وتعدّد الأصوات في الرواية على مرتكزات فردية، ذلك أننا لم نعثر قبله -إلاّ لاماما- على دراسات أصيلة وطرح واضح لقضايا أسلوبية الرواية، رغم أنّه يشير في (الكلمة في الرواية) إلى جهود سابقة له يكون قد استلهم منها التحفيز في بحث الموضوع، على

⁽¹⁾ تزفيتان تودوروف، الشعرية، ت شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، ط2، دار توبقال، المغرب 1999، ص 81.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص82.

مايبدو، أكثر من استفادته منها باعتبارها مرتكزات نظرية يمكن أن تؤسس عليها نظرية خاصة بالمسائل المشخصة للمهارة الفنية في النثر عموما وبالقضايا التقنية للرواية. لكن: هل يجب أن نساير باختين في كلّ ما قاله؟ أوفي بعضه؟ أعني: هل وصلت نظريته في الرواية إلى الحدّ الذي يمكن أن تجيب فيه على الأسئلة التي ظلت تطرح، والتي تتوزّع عادة بين عموميات الجنس وخصوصيات النوع، هل تجاوز باختين هذه الإشكالية؟.

- الحقيقة أنّ ما يقوله باختين جديد ولامع حين يتعلّق بنموذجه المفضل، لكنّه بمجرد أن يتجاوز أعمال دوستوفسكي، يدخل فيما دخلت فيه النظريات من قبله ومن بعده، ويجد نفسه في مواجهة أسئلة كثيرة، ذلك الدراسات اللغوية صارت تقول إنّ الحوار خاصيّة ثابتة من خواص اللّغة أي أنّ اللّغة صارت حوارية في جوهرها، فهي ليست (انعكاسا) ولا (تعبيرا) كما شاع من قبل، هي شيء ماديّ يقوم بتجسيد الوعي الإنساني، الوعي الإنسانيّ ليس إلّا تعامل الذات النشط الماديّ مع الآخرين، وهو مثل اللّغة يوجد (داخل) وكذلك (خارج) الذات في آن واحد.

- هذه النظرة المادية للّغة التي شكّلت نظرية مادية للوعي ذاته، لم تعد ترى في اللّغة نسقا مجردا كما كان يقول دوسوسير، لذلك فإنّ أية رواية هي حوارية بشكل ما بحكم أدواتها الحوارية، ثم إنّ باختين يؤكّد على البعد الإيديولوجي للكلمة، بل ويجعلها موقفا إيديولوجيا من العالم حين ينفي عنها صفة الحياد في خضم الصراع، وهكذا نظر إلى اللّغة على أنّها ميدان للنّزال الإيديولوجي بما فيه من حركة وتطورات وليس مجرد نسق جامد. لكنّ اللّغة ليست هي الإيديولوجيا، وإذا

كان لابد من علاقة بينهما فهي علاقة الحامل بالمحمول، اللّغة وسيط نقل الإيديولوجيا، لذلك لا يمكن الحديث عن القيم والأفكار بدون اللّغة، حتى أنّ ذلك (الإيديولوجي) ينسب على العلامة اللّغوية بالمعنى الذي يريده المتلفّظ فينحصر معنى العلامة في وجه الدلالة الذي يريده المتلفّظ فلا تصبح العلامة إشارة حرّة، وهذا ما سعى إلى تأكيده باختين، ولكنّه غاب عنه أنّ (الحوارية) لا توجد في الكلمة في استعمالاتها اليومية البسيطة، بل في الخطاب الذي يحتضن هذه الكلمة.

- وإذ لا ننكر أنّ باختين قد حرّر مقارنة النّص الروائي من قيد المسلمات الشكلية والبنائية ذات التوجّه العلماني الصارم ومن الإسقاطات السوسيولوجية، إلّا أنّه لم يستطيع أن يتخلّص من وقع المفاهيم العامة، ولم يزودنا بآليات وأدوات إجرائية واضحة في الممارسة النقدية، ومع أنّه أكّد على البعد الحواري كمكون رئيس في العملية الإبداعية، إلّا أنّه ظلّ عنده مفهوماً نظرياً ذا طابع عام، يفتقد مثله مثل الكلمة الحوارية والكرنفال والهجاء المينيبي، إلى الإجرائية.

- إنّ المنجز الباختيني يوهّم بتفوّده وديمومته عبر اختلافات جوهريّة مع الموروث النقدي العام، لكنّه ينتهي إلى السياق ذاته، فإذا كان الماركسيون يروّجون لمفهوم الإيديولوجيا ونظرية الانعكاس، وأكّد "لوكاتش" على مفهوم الكلية والانسجام وقرأ "غولدمان" جمالية الرواية بواسطة حضور رؤيا للعالم متماسكة، فإنّ قراءة باختين للرواية ترتكز على فكرة الكلمة الحوارية بوصفها الأساس الجمالي في النثر الروائي وهي ميزته، وهو بذلك قد فتح أعيننا على إمكانية تحليل قوامه التعدّد والحوار والتفاعل الخصب، ولكن في صميم هذا التعدّد تكمن أحادية بانسة تقول إنّ النّص

الجيدّ هو الذي يعكس مجرى التفاعلات والتناقضات الاجتماعية عبر لغته، وهكذا يتكرّس منظور خاص للقراءة يقصي كلّ احتمالات قراءة أخرى ويحول دون الكشف عن كلّ الخصائص والمكوّنات البنائية للنص، وإذا كانت الموضوعية تدفعنا إلى القول إنّ **باختين** يعلمنا أشياء كثيرة على غرار أنّ القراءة هي فنّ اليقظة للكلمات، إلّا أنّه في وسع المرء أن يردّ: هل من سبيل إلى اختزال هذه اليقظة إلى بحث دؤوب عن الأصوات المتصارعة والإيديولوجيات المتنافرة في الحقل الاجتماعي؟

- والواقع أنّ **باختين** قد انتهى إلى هذا الموقف وهو يفاضل بين روايات **دوستويفسكي** المتعدّدة الأصوات، وروايات تولستوي الأحادية الصوت، فهل **دوستويفسكي** أفضل - لأنّ رواياته حوارية - من **تولستوي**، لأنّ رواياته مونولوجية؟ هل تستقيم هذه المفاضلة؟

- إنّ الكلام عن أصل الرواية انطلاقاً من المصدر الشعبي للكلمة في الرواية هو الذي أفضى **بباختين** إلى دراسة بنية تعدّد الأصوات في الرواية، وهي دراسة ذات صلة بالنقد الاجتماعي للأدب، والواقع أنّ الرواية تخلط أصواتاً متنوّعة اجتماعياً، و**باختين** عندما حلّل "أوجين أونيفين" لـ "بوشكين" ميّز فيها أشكالاً لسانية وأسلوبية مختلفة تنتمي إلى انساق مختلفة للغة الروائية، فليس ثمة شيء يأتي من **باختين** مباشرة، وإذا كانت الرواية نسقاً من الحوارات يتضمّن تمثيلاً لأنواع كلامية وأسلوبية ومتصوّرات ملموسة، ولا تفترق عن اللسان، وإذا كانت دائماً نقدا ذاتياً للغة الأدب في عصرها فإن "أوجين أونيفين" تعدّ رواية حقيقية وليست قصيدة.

- وعندما لاحظ **باختين** في العمل عمق السخرية للثقافة الشعبية الخالدة، ولاحظ في الرواية الأصوات الأكثر تنوعاً، فذلك لأنّ هذين المنظورين يرتبطان ببعضهما، ولأنّ الرواية تشتق بالنسبة إليه من أجناس ساخرة على غرار الهجاء المينيبي، وهي خصبة أيضاً، وذلك لأنّ علم الاجتماع لا يدرس رواية من خارج اللغة وأخرى من جانبها الآخر، لكنّه يدرس البنى الاجتماعية بوصفها تتكلّم، ولأنّ خطاباتها تكتب، وهذا يعني أنّ الحوارية مصدرها الخطاب الذي يتضمّن الكلمة وليست الكلمة في حدّ ذاتها.

- لقد صاغ **باختين** تصوّره عن الرواية الحوارية في زمن محدّد واستحضر نماذج محدّدة وجد فيها ما يتلاءم مع موقفه ووجهة نظره، وهذا يعطينا حق التساؤل: إلى أي حدّ تبقى الفئات الباختينية قادرة على استيعاب تعقّد البنيات الروائية في القرن العشرين وبعده؟.

إنّ الكرنفال وهو يقال من أهميّة الثقافة والسلطة الرسميتين برأي **باختين**، يمكن بالنسبة إلى من يقف في مواجهته أن يعتبره طقس الطاعة العكسي. وقد رصد "كريزنسكي" ثلاثة أمثلة وظفّت العوالم الكرنفالية لا لإقامة التماثل، بل من أجل تدمير الرؤية الكرنفالية بواسطة السخرية والجدل اللّعبى والتناص في مستوى السرد والخطاب معاً، وهي ثلاث روايات تنتمي إلى ثقافات ولغات متباينة من ألمانيا وبولونيا وكوبا، وملخّص ما وصل إليه فكرة أساسية وعميقة تستهدف تجديد التصرّور الباختيني وتطويره بموازاة تطوّر الجنس الروائي الذي لم ولن يتوقّف عند شكل محدّد يوماً.

قائمة المصادر والمراجع:

- باللغة العربية:

- 1- تزفيتان تودوروف، الشعرية، ت شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، ط2، دار توبقال، المغرب 1999.
- 2- تيري إيجلتون، مقدمة في نظرية الأدب، تر: أحمد حسان، ط2، نواة للترجمة والنشر، سوريا 1997.
- 3- فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1999.
- 4- محمد الباردي، في نظرية الرواية، سراس للنشر، تونس 1996.
- 5- ميخائيل باختين، شعرية دوستوفسكي، ترجمة جميل نصيف التكريتي، ط1، دار توبقال، المغرب 1986.
- 6- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة 1987.
- 7- ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق/سوريا 1988.

– باللغة الأجنبية:

8– Julia kristeva, Recherches pour une Semanalyse, Ed. du Seuil, Paris 1967.

9 –Mikhaïl Bakhtine, Esthétique et Théorie du roman, Ed. Tel, Gallimard, Paris 2004.

10– M. Bakhtine, le Marxisme et la Philosophie du langage, Ed. Minuit, Paris 1977.

11– M. Bakhtine, La Poétique Dostoïevski, Ed de. du Seuil, Points, Paris 199